إسلاميّة المعرفة بين توخي الهدف والأهداف الفرعيّة والمساعدة

أ. د/ طه العلواني

المقدّمة

الحمد لله نستغفره ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، ونعوذ بالله من همزات الشياطين ونعوذ به أن يحضرون، ونصلّي ونسلّم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه ومن ولاه.

أمّا بعد؛

فإنّ القضايا الكبرى التي تُقدّم لإعادة بناء أمّة وتجديد حياتها، وتصويب مسيرتها، ليست من السهولة بحيث تُقال فيها كلمة وتنتهي، أو يُصاغ لها تعريف يُدرج في سجل التعريفات والمصطلحات العلميّة ويقف الأمر عند ذلك؛ بل الأصل فيها أن تكون قضيَّة متجدّدة حيَّة لا يتوقف الحديث عنها وفيها، ولا ينتهي الحوار والنقاش والجدل حولها، فهي -دائما- موضع اهتمام، تُقدم للأمّة وتُبرز مدخلاتها الفكريّة والمعرفيّة، فتثير من الأسئلة والتساؤلات مَا تثير، ثم تُجيب بحيويَّة وفاعليّة عنها لتثير الإجابات أسئلة أخرى يُجاب عنها، فتكون مدخلات ثم تأتي مخرجات الأسئلة والتساؤلات مرة ثانية وثالثة... وعاشرة، ولا تتوقف، وما ينبغي لها أن تتوقف؛ لأنّ التوقف عن إثارة الأسئلة في عالم الأفكار دليل موت القضيّة أو توقُّفها، وفقدانها الفاعليّة والحيويّة.

وقضيّة «إسلاميّة المعرفة» منذ أن أعلن عنها، ودُعيت الأمّة لتبنّيها مشروعًا للإصلاح المنهجيّ والفكريّ والتعليميّ؛ وقامت على البحث فيها، والعناية بجوانبها المختلفة المؤسَّسة «المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ» في أوائل القرن الهجريّ الخامس عشر؛ لم تتوقف الأسئلة والتساؤلات عنها وفيها؛ وانقسم المتعلّمون من أبناء الأمّة حولها انقسامًا كبيرًا، مَا بين مرحّب بها مدرك لضرورتها منادٍ بأعلى صوته أو صوت قلمه: أن قد وجدتها، وما بين رافض لها، رأى مجرد المناداة بها محاولة لوضع اليد الإسلاميّة على قضايا المعرفة، وجعلها جزءًا من المشروع الإسلاميّ لتحكيم الدين في قضايا المعرفة التي يُفترض —في نظر هذا الفريق اللاّئكي

العلمانيّ- أن تكون من غير دين؛ لأنّ تديُّن المعرفة قد يُفقدها –في نظر هذا الفريق- علميّتها وموضوعيّتها وحياديّتها!!!

وهناك فريق ثالث ماضويّ رأى في طرح هذا المشروع مَا قد يُخفّف الاهتمام أو يصرفه عن «الجانب العقيديّ» الذي يعزو هذا الفريق الماضويّ أزمة الأمّة في جوهرها إلى الانحراف العقيديّ وحده[1]

ومع الإجابة عن الأسئلة المثارة، إلا أنّها لم تنقطع ولم تتوقَّف حتى الآن، بقطع النظر عن طبيعة تلك الأسئلة وطرق إثارتها، ويمكن أن يُقال في مستويات الكثير منها، وما تزال الأسئلة تتابع وتتوالى فيها وعنها، وذلك دليل حيويّتها وفاعليّتها، وشعور الأمّة الكامن والمعلن بضرورتها لنهضتها وإحيائها.

والملاحظ أنّ الأسئلة –في هذه المرحلة- قد صارت تدور حول مدى نجاح هذه القضيّة، ومدى نجاح مَن صاغوها ونادوا بها في توضيح مبادئها وقضاياها وإيصالها إلى الأمّة، ووضعها على طريق التجديد والتجدّد والإصلاح، وأين نجحت وأين اختفت؟ وهل نجحت المؤسّسة التي أقيمت لتكون المحضن الأساسيّ لقضاياها في ذلك أو لم تنجح؟ وهذه أسئلة تشير إلى أنّها تدور في الشكل وحوله، ولا تمسّ صميم الموضوع ولا المنهج ولا الوسائل بشكل موضوعيّ ملائم!! فهل تُنبّه هذه الأسئلة إلى أنّ الحقائق المعرفيّة والمنهجيّة والأهداف الأساسيّة والفرعيّة لإسلاميّة المعرفة مَا تزال بعيدة عن مستوى تناول العقل المسلم لها؟ أو إلى أنّ العقل المسلم شُغل بأمور أخرى جعلت التفاته إلى أمر منهاجيّ معرفيّ جادّ هو حقيقة «أسلمة المعرفة أو إسلاميّتها» شيئًا يتلافاه، ويدير أسئلته حوله لا في صميمه؟

رسالتنا هذه محاولة تستهدف أن تُعيد حقيقة هذه القضيّة وموضوعها وهدفها الأساس إلى بؤرة الاهتمام والبحث والحوار، وعدم الاستسلام لدُعاة الانشغال بالشكل عن المضمون، أو بالعرض عن الجوهر.

[1] أعدّ أ. د. عبد الجبار الرفاعي صاحب مجلة «قضايا إسلاميّة معاصرة» ورئيس تحريرها وراقيّة «بيبلوجرافيا» بمجلد كامل تناول فيه عناوين ما كتب في «إسلاميّة المعرفة» معها وضدها ... الراغبين إليه.

ولنا كبير الأمل أن نجد من حملة هذا المشروع من يُعين على تحقيق هذا لتبقى روح هذه الأطروحة السامية حيَّة حيويّة فاعلة حتى تُحقق الهدف المنشود، وتنجز هذا الطموح؛ وما ذلك على الله بعزيز.

الرياض: في العاشر من شهر
رمضان المبارك 1430 هـ
2009-8-31 م

إسلاميّة المعرفة والهدف الأساس:

«إسلاميّة المعرفة» مركّب إضافيّ من كلمتين «إسلاميّة» و«إسلام» بدون الياء والتاء مصدر «أسْلَمَ»، وهو على ضربين:

الأول: المرتبة التالية للإيمان، وهو نطق الشهادتين وإعلان الإسلام باللّسان بقطع النظر عن استقرار القلب بالإيمان أو عدم ذلك، وعليه خرج قوله (تعالى): ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (الحجرات:14).

والثاني: مرتبة تشتمل على الإيمان وزيادة، فهي اعتقاد ويقين بالقلب والجنان، ووفاء بالفعل وشهادة باللّسان وعمل بالأركان، وإسلام الوجه والاستسلام لله (تعالى) في كل شيء؛ كما في قصّة إبراهيم –عليه السلام– ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (البقرة:131)، وكذلك قوله (تعالى): ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ (آل عمران:19).

والإسلام أيضًا يأتي بمعنى الدخول في السلم.

والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، وأسلم وجهه لله وهو محسن.

وإضافة الياء والتاء إليه تجعله مصدرًا صناعيًّا.

وأمّا «المعرفة» والعرفان فهي: إدراك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره، وأصلها من «عرفت الشيء» أي: أصبت عَرْفه؛ أي: رائحته، أو حدّه ﴿**فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**﴾ (**يوسف:58**) ويُضادُّ المعرفةَ الجهل والإنكار، وكذلك العلم من حيث كونه أخصّ من المعرفة، فلا يقال: الله يعرف كذا؛ بل يقال: يعلمه.

والمعرفة تُستعمل في العلم البشريّ القاصر الذي يعتمد على التدبّر والتفكّر والإدراك البشريّ خلافًا للعلم.

وإضافة «إسلاميَّة أو أسلمة إلى المعرفة» تعني اتّصاف المعرفة بالإسلام، وذلك يعني أن يكون «الوحي» من مصادر المعرفة فيُعطي ذلك المعرفة امتدّادًا في المصادر وسعة، وأن تكون المعرفة مرتبطة بالقيم فلا تنفك عنها، وآنذاك تكون هناك معارف مذمومة ومعارف ممدوحة،

«فالسحر» مثلا من المعرفة المذمومة، والعلم بوسائل الدمار والتخريب والإفساد في الأرض من العلوم والمعارف الضارة بالعمران، وعلوم التسخير للطبيعة من العلوم النافعة.

وبمقتضى ذلك يصبح الشرع القائم على الوحي من وسائل تقييم المعرفة، فهناك معرفة تُقرّبنا إلى الله (تعالى) فيصبح المختبر فيها بمثابة المسجد، ومعرفة تبعد الإنسان عن الله (تعالى) وعن العمران والإصلاح في الأرض.

كما أنّ «إسلاميّة المعرفة» تعطي للمعرفة المرونة المطلوبة والانفتاح على الكون، والقدرة على «الجمع بين القراءتين»، وحسن إدراك الجدل أو التفاعل القائم والدائم بين الله (تعالى) والغيب من عالم أمره والإنسان المستخلف والكون والطبيعة المسخّرة، ولهذا فوائد معرفيّة كثيرة سنأتي إلى بيانها؛ إن شاء الله (تعالى).

إذا اتضح ذلك يمكن أن نُحدّد المعالم الأساسيّة لهذه القضيّة بوضوح –إن شاء الله تعالى– ونُعرّف بمنهجها، ومبادئها، وجزئيّات مسائلها بحيث يُصبح الطريق سالكًا إلى بحث قضاياها الدقيقة –بإذنه تعالى– بدلا من الانشغال بأعراضها الخارجيّة؛ ولذلك فإنّنا سنجعل بحثنا منحصرًا في الأسئلة و«الأهداف والوسائل والمنهج».

أسئلة الدراسة:

1) ما العلاقة بين الدين والمعرفة بصفة عامّة، وبين الإسلام والمعرفة بصفة خاصّة؟

2) هل حدّد الإسلام لنفسه «نظريّة معرفة» اختصّ بها، وما هي حدود ومعالم هذه النظريّة؟

3) من قضايا المعرفة الأساسيّة «تصنيف المعارف والعلوم»، فهل لإسلاميّة المعرفة «نظريّة تصنيف» تخصّها، أو أنّ الأسلمة والإسلاميّة تتحوّل في هذه الحالة إلى مرادف لقولنا «هذا مشروع أي: مقبول شرعًا، وهذا غير مشروع»؟

4) هل لإسلاميّة المعرفة سوابق في الواقع التاريخيّ الإسلاميّ؟ وما هي؟

5) هل حاولت الأديان الأخرى أن تطرح من ناحيتها ومن وجهة نظرها مَا يوازي «إسلاميّة المعرفة»؟

6) ما الآثار التي يمكن «لإسلاميّة المعرفة» أن تتركها على حريّة «البحث العلميّ والمعرفيّ»، وهل يتوقع أن تشكّل أو تضع بعض العوائق أمام حريّة «البحث العلميّ والمعرفيّ»؟

7) يعدّ الغلوّ والتعصب والتطرف من أخطر الأعراض التي تصاحب المعارف والعلوم الدينيّة واللّاهوتيّة بصفة عامّة، فكيف تُعالج «إسلاميّة المعرفة» هذه الأعراض، وهل هناك خشية من أن تزيد «إسلاميّة المعرفة» هذه الأعراض، وكيف يمكن تلافي ذلك إن وجد؟

8) حين ترتبط المعارف «بالقداسة الدينيّة» فإنّها يغلب أن تأخذ شكلا حديًّا يجعلها بمثابة «حقيقة مطلقة»، ويُخشى أن ينغلق «النسق المعرفيّ» إذا رُبط بالقداسة الدينيّة، فهل تستطيع «إسلاميّة المعرفة» أن تتلافى ذلك؟ وكيف؟

9) إذا افترضنا المغايرة بين «خطاب الوحي» و«خطاب العقل» فما نصيب كل منهما في «إسلاميّة المعرفة»، وكيف تُحدّد «الأسلمة» العلاقة بين الاثنين، وعلاقتهما بهما أو بكل منها؟

10) ينظر البعض إلى «إسلاميّة المعرفة» على أنّها قضيّة ساذجة تكاد تلتحق بالشعارات، حيث لم تُبيّن الإطار الفلسفيّ الدقيق الذي تقوم عليه، ولم تُثبت به أو من خلاله علميّتها، وحقيقتها وموضوعيّتها، وضرورة وجودها.

11) يرى بعض المراقبين أنّ «إسلاميّة المعرفة» لم تلتزم بتحقيق أهدافها المعلنة في بدايات العمل فيها، وأنّها تشتّتت حتى صارت وكأنّها حركة إسلاميّة لا يميزها عن غيرها سوى أنّها أعطت العمل المعرفيّ أولوية دون إهمال الجوانب الأخرى، مما يجعل هذا البعض يؤكد أنّها لا تتجاوز أن تكون استمرارًا لمحاولات «إصلاح التعليم» في العالم الإسلاميّ الذي نادت به سائر الحركات الإسلاميّة.

12) يرى البعض أنّ «إسلاميّة المعرفة» لم تُحدّد أهدافها بدقة، وإذا كانت قد أعطت شيئًا من التحديد لأهدافها فإنّها لم تلتزم بتوخي تلك الأهداف بدقة.

13) «إسلاميّة المعرفة» لم تحدّد مفاهيمها بدقة فلم تستطع بناء «إطار مرجعيّ» لها، كما لم تستطيع بناء «ميزان أو نسق قياسيّ» تزن وتقيس به وإليه مسيرتها وإنجازاتها، وجوانب التوقف أو القصور في أدائها.

14) بالرغم من مرور مَا يقرب من ثلاثين سنة على قيام «مؤسّسة المعهد» لم تتكّون مدرسة فكريّة معرفيّة حولها قادرة على تحويلها إلى قضيّة قابلة للتعليم والتدريب والنقل إلى الأجيال الطالعة؟!

15) إنّ إيجاد تيّار فكريّ ومعرفيّ في أمّة من الأمم يقتضي إدراكًا شاملا لخصائصها الذاتيّة، ومكوناتها العقليّة والنفسيّة، وآليات التغيير الأنسب لأفكارها وتصوّراتها في اللّحظة التاريخيّة التي تعيشها، فهل استطاعت «إسلاميّة المعرفة» أن تضع دليلا بهذه القضايا يقود خطى الباحثين للإنجاز فيها؟

16) ما القضايا التي يمكن «لإسلاميّة المعرفة» أن تُقدمها لمشروع حضاريّ إسلاميّ تجديديّ كامل؟

17) هناك أسئلة فرعيّة أخرى تعمل هذه الدراسة الوجيزة على الإجابة عنها. بتوفيق الله تعالى وتسديده.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إسلاميّة المعرفة وتوخي الهدف»

أ. د/ طه العلواني

التوخّي من القصد والاستهداف، والهدف معروف، والتوخي مبدأ من مبادئ الحرب اشتهر بالالتزام له، وعدم التفريط فيه من جميع القادة العسكريّين المشاهير الذين حفل التاريخ العسكريّ الإنسانيّ بتدوين سيرهم، والعناية بدراستها واستخلاص الدروس والعبر منها.

وقد حرص نابليون على الدعوة إلى الالتزام بهذا المبدأ وأدرجه ضمن مبادئ الحرب وشدّد في التأكيد عليه، وتدريب من عملوا معه على ذلك؛ لأنّ هذا المبدأ يقتضي تحديد «الهدف الأساسيّ» بمنتهى الدقة والصرامة.

ثم تحديد «الأهداف الفرعيّة» وبيان علاقة كل منها «بالهدف الأساسيّ»، وعلاقتها ببعضها، وبذلك يُدرك القادة أولويّاتهم، ومراتبها ومستواها بنظام دقيق، فلا يأخذ هدف فرعيّ موقع «الهدف الأساسيّ» ولا ينزّل «الهدف الفرعيّ» عن مرتبته وموقعه. وقد تجرى بعض الموازنات بين الأهداف الفرعيّة لتحديد النسبة إلى الهدف الأساسيّ، وأهميّة ذلك لتوخيه وإنجازه، فيبرز جانب «الأولويّات وتحديد مراتبها»، وهو جانب هام من جوانب المعرفة.

و«توخي الهدف» يبرز «الوسائل» -أيضًا- وهي الوسائل التي ينبغي للساعي لتحقيق الهدف التوسّل بها وهو يتوخي تحقيق «الهدف الأساسيّ»؛ ليس ذلك فحسب، بل إنّه يحدّد للمستهدِف نوعيَّة الوسائل ومراتبها ومستوياتها، وبأيها يبدأ، وبأيها ينتهي، وكيف يوفّر تلك الوسائل!!

كما أنّ «توخي الهدف» يستدعي تحديد «المنهج» «منهج التفكير» و«منهج الاستنباط» و«المنهج التاريخيّ» و«المنهج العلميّ» و«المنهج التجريبيّ». وبقدر مَا يكون «الهدف الأساس» واضحًا بيِّنًا في ذهن «الهادف» بقدر مَا تُصبح عمليّة مَا ذكرنا —بعد ذلك- واضحة، فتكون «الأهداف الفرعيّة، والوسائل، والمنهج» واضحة قابلة للتحديد الدقيق.

ولنقل: إنّ «الهدف الأساس» لنا معشر العاملين في حقل «أسلمة المعرفة» إخراج الأمّة المسلمة من حالة «التيه والشتات والضياع» التي تحياها -الآن- وإعادة بناء مَا رثّ وتقادم من عرى ودعائم وحدتها ووسطيّتها وخيريّتها وشهادتها على الناس؛ لتمكينها من الوعي بالذات، وأداء دورها الذي أناطه الله (تعالى) بها.

فهذا يصلح أن يكون «هدفًا أساسًا» تُحيط به مجموعة أهداف فرعيّة أخرى يتوقف تحقيق الهدف الأساس عليها؛ منها:

1) إعادة بناء «الرؤية الكليّة» كما حدّدها القرآن المجيد وسيرة وهدى وسنن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- وتلقاها عنه «جيل التلقّي» من أصحابه وآل بيته.

2) وذلك يتحقق بإعادة بناء «العقيدة الإسلاميّة» بأركانها القرآنيّة الخمسة، أركان العقيدة القرآنيّة، ووفقًا لاعتقاد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- دون شرح ذلك بما أضيف أو أدرج في المعتقدات نتيجة الصراع العقيديّ والكلاميّ بعد نشوء الفِرَق واستقرار الفرقة، وشيوع الكلام؛ لأنّ «الرؤية الكليّة» تنبثق عن اليقين بيقينيّات أساسيّة محدودة تُصوب رؤية المؤمن إلى الغيب والإنسان والكون، وتُسدّده في ممارسته في الوجود، وتُقوّم فعله وسلوكه ليكون قادرًا على الوفاء بالعهد الإلهيّ، والقيام بمهام الاستخلاف، والمحافظة على الأمانة، وحسن أدائها، والنجاح في اختبار البلاء، والانتهاء بحياة طيبة في الدنيا وجنّة عرضها السموات والأرض في الآخرة. وبذلك يتجه الإنسان بسلامة هذه الرؤية نحو الالتزام «بالتوحيد» للمحافظة الدائمة المستمرة على «الرؤية الكليّة» ومنحها طاقات التجدّد في نقائها وصفائها، وبناء سياج لحماية «التصوّر الإسلاميّ السليم» بكل خصائصه ومقوماته من أيّ انحراف، ثم «بالتزكية» الشاملة للإنسان وكل مَا يُحيط به، ثم «بالعمران» إذ إنّ الله (تبارك تعالى) أنشأنا من الأرض واستعمرنا فيها ﴿ .. **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**.. ﴾ (**هود:61**) ، والحكمة الإلهيّة كانت قد قادت حركة الإنسان باتجاه هذه الغاية من عالم العهد الذر إلى عالم الابتلاء واستكمل مسيرته إلى عالم الخلود.

وبهذه «الرؤية الكليّة» المستقيمة تنتفي سائر العوامل التي تقود إلى الأزمات الفكريّة أو تؤسّس لها.

أولا: «العبثيّة» ففعل الإنسان غائيّ منزّه عن «العبث»؛ لأنّه لم يُخلق عبثًا، ولم يُوجد للعبث.

ثانيًا: «الجبريّة» فالإنسان مُكلّف، والتكليف قام ويقوم على الاختيار والحريّة في التصرف، وما الأمانة التي عرضها الله (عزّ وجل) على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها إلاّ «حريّة الاختيار»، ولولا هذه الحريّة لكان الإنسان واحدًا من المسخرات لا يختلف عنها في شيء .

ثالثًا: نفي المصادفة، «فالرؤية الكليّة» حين تقوم على أركان عقيديّة سليمة –كما ذكرنا– لا تتقبل فكرة المصادفة، «فكل شيء عنده بمقدار» ولا يأتي شخص أو يذهب إلاّ بتدبّر وسنن وقواعد، يتضافر في تكوينها الغيب والكون والإنسان ولا يحدث في الكون شيء على سبيل المصادفة بل كل مَا يحدث إنّما يحدث وفقًا لسنن وقوانين ثابتة في الكون والحياة والإنسان، وذلك تقدير وتدبير العزيز العليم.

رابعًا: تكريس «المسئوليّة الإنسانيّة» وتحديدها، والمسئوليّة هي القاعدة التي تقوم عليها نظم التكاليف، ومنها النظام الأخلاقيّ. وأيّ قول بالعبث أو المصادفة يُصادر «المسئوليّة الإنسانيّة» ويكرّس كل مَا يُناقضها، ويهدم قواعد التكاليف.

خامسًا: تمنح «الرؤية الكليّة» الإنسان القدرة على فهم دقيق للحكمة الإلهيّة التي تجعل علاقة الله (تعالى) بالإنسان علاقة سليمة، فالله (عزّ وجل) في «الرؤية الكليّة القرآنيّة الإسلاميّة» ليس رب الجنود الذي تقوم علاقاته بعباده على الصراع بين قوته الأزليّة المطلقة القاهرة، فيرفع الجبل فوق رؤوس العباد حتى إذا ظنّوا أنّه واقع بهم أملى عليهم تعاليمه قائلا: ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا**﴾ (**البقرة:93**)، وما عليهم إلا أن يقولوا «سمعنا وأطعنا» ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (**الأعراف:171**)، فتلك تجربة أخرى في مرحلة سابقة من مراحل تاريخ البشريّة ذات خصائص مغايرة، أمّا التجربة التي ننتمي إليها فهي تجربة تقوم على علاقة أخرى يُقدم فيها الله (تبارك وتعالى) لإنسان مختار حر قادر على القبول والرفض، جاءت «هدايته» في شكل مشروع إلهيّ كامل يحمله إلى الإنسان رسلٌ يصطفيهم الله (تعالى) من الناس والملائكة ويضعهم على عينه؛ وهو (سبحانه) إذ يقدم للإنسان هذا المشروع يقدمه، لا

ليجبره أو يُكرهه على قبوله، بل ليخيّره، ويقيم الحجّة عليه بأنّه (سبحانه) قد قدَّم له مَا ينير له الطريق ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (**النساء:165**)؛ لأنّ «الرؤية الكليّة القرآنيّة» للإنسان رؤية قائمة على دعائم قويمة في تحديد العلاقة بين الله (تعالى) والإنسان، والرؤى الأخرى تشوهت فيها طبيعة العلاقة بين الله (تعالى) والإنسان فاضطربت: ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (**النحل:74–79**)، فهذه الآيات تُبيّن بجلاء ووضوح «الرؤية القرآنيّة الكليّة» للإنسان وعلاقته بالله (تعالى)، وتُبيّن أوجه الخلل والقصور التي أصابت رؤى الآخرين والمصادرَ التي أتت منها رؤيتهم السلبيّة تلك.

وتكتمل الصورة عندما ننظر في قوله (تعالى): ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (**الزمر:29**).

«فالتوحيد» يجعل الإنسان سلمًا ومسلمًا لله رب العالمين بعيدًا عن التمزق بين أرباب متفرقين، كل منهم يُريد أن يوجهه الوجهة التي يريدها ويرضاها حتى لو أدت –بعد ذلك– إلى تمزقه وتشتته، والقضاء على طاقته وتدمير حياته، ثم يُبيّن له عدوه الذي لا ينفك يعترض طريقه، ويحاول بالانحراف عن الصراط السويّ: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (فاطر:6)، ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ**

هُـوَ وَقَبِيلُـهُ مِـنْ حَيْـثُ لا تَـرَوْنَهُمْ إِنَّـا جَعَلْنَـا الشَّـيَاطِينَ أَوْلِيَـاءَ لِلَّـذِينَ لا يُؤْمِنُـونَ﴾ (الأعراف:27).

وهذا العدو يسانده شياطين الإنس وأولياؤه منهم، وهم –جميعًا– ليس لهم سلطان أو قوة يلغون بها قدراتكم وطاقاتكم، لكنّهم ينادونكم ويدعونكم ويُزينون لكم، فعليكم أن تستنفروا طاقاتكم لمواجهة هؤلاء الأعداء، وتُجاوز مكائدهم، طاقاتُ الرفض فيكم لنداءاتهم بالتمسك بهداية الله (تعالى) ودوام ذكره، والاعتصام بكتابه والتزام سبيله، ثم يُنبهم إلى جانب رؤيتهم للكون بحيث لا يغيب عن بال أيّ منهم أنّ الله (تبارك وتعالى) قد سخّر لهم هذا بكل مَا فيه لتمكينهم من الحياة الطيبة، وتسهيل مهامهم، وتيسير سبل أدائها مهامهم في هذه الحياة تفضلا منه ونعمة، فعليهم أن يسيروا في الأرض وينظروا ويتدبّروا ويقرءوا ويكتشفوا السنن والقوانين والنواميس التي تُمكنهم من أداء مهامهم، فيكون بين أيديهم – على الدوام– حاصل قراءتين: قراءة في الوحي، وقراءة في الكون الإنسان، وبذلك تتكون لديهم القراءة والمعرفة الهادية الرائدة.

وبذلك –كله– يكون الإنسان قد عالج أبرز وأهم أزمتين من أزماته؛ هما «الأزمة الفكريّة» و«الأزمة العقيديّة»، وهما أمات الأزمات، ومعالجتها تُشكل معالجة الهدف الأول من الأهداف المتفرعة عن الهدف الأساسيّ.

أمّا الهدف الثاني فهو معالجة أزمة «نظم الحياة المتعددة»؛ فهناك «النظام السياسيّ» وأزمته، «والنظام العباديّ» وأزمته، و«النظام الاجتماعيّ» وأزمته، و«النظام الاقتصاديّ» وأزمته، و«النظام التعليميّ» وأزمته، و«والنظام الأخلاقيّ» وأزمته.

ومعالجة هذه الأزمات، ولو اجتمعت كلمة مثقفي الأمّة ومتعلميها وحكامها وقادة الرأي فيها على كلمة سواء، ووجهوا كل جهودهم وطاقتهم لمعالجتها من بعدهم أمثالهم، لما أمكن معالجتها إلاّ بعد وقت طويل، وجهد متواصل منهجيّ دقيق؛ لأنّ جُلّ هذه الأزمات قد استفحلت واستبسلت ودخلت أمراضها «ثقافة الأمّة» وتغلغلت فيها، وتكرست آثارها.

الهدف الثالث: إيجاد الوعي لدى فصائل الأمّة –كلّها– بالأزمة وجوانبها المختلفة، وضرورة استنفار كافّة الطاقات لمعالجتها بسائر جوانبها وفقًا لسلم أولويّات تجري التوعية به

بكل الوسائل المتاحة، فإنّ عدم شعور السواد الأعظم من الأمّة بوجود الأزمة وتوغّلها واستفحالها يُعد –في حد ذاته– أزمة أخرى.

الهدف الرابع: لابد من تحقيق دقيق لمصادر التنظير لمعالجة الأزمات، ومنهج لإدارة الأزمة وتحديد لطرق معالجتها، وكيفيّة السيطرة على منابعها لتجفيف تلك المنابع بقدر الإمكان.

يليه تحديد «ميزان للقياس»: قياس كل خطوة في معالجة أيّ هدف لتكون هناك قدرة على معالجة كل مَا قد يعترض العمل من عقبات، ولمعالجة الأخطاء قبل استفحالها، وفي الوقت نفسه لا ينبغي أن تقع أيّة غفلة عن القضيّة المركزيّة الكليّة.

ثم تحديد «الإطار المرجعيّ» الذي لا ينفك عن «ميزان القياس» بحيث يعملان –معًا– لضبط خطوات العمل في اتجاه تحقيق الهدف الأكبر، والأهداف الفرعيّة.

إنّ «منظور إسلاميّة المعرفة» منظور شامل لكل مَا تقدّم، ولا يتوقف هذا المنظور عند ذلك وحده؛ بل يمتد لتقديم «البديل القرآنيّ» لبناء الأمّة بناءً جديدًا مستأنفًا بإذنه (تعالى) فما معالم «البديل القرآنيّ لبناء الأمّة القطب»؟